

الفصل العاشر

الاسلام وتعليم المرأة

obeykandi.com

لقد فرض طلب العلم على المرأة كما فرض على الرجال فى الاسلام
فقد سوى الدين الاسلامى بين المرأة والرجل فى الامور الروحية
والواجبات الدينية ولم يفرق بينهما فى العلم والتعلم قال الرسول
الكريم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » من غير تفرقة
بينهما فى طلب العلم . فالعلم مقدس فى الاسلام وطلبه فريضة على كل
مسلم ومسلمة .

وقد كان للمرأة العربية فى الجاهلية الحق فى التعلم وكان بين
النساء كاتبات وشاعرات . وحينما ظهر الاسلام بدأت الحياة العقلية
تنشط وتحيا لدى العرب وكسبت المرأة حقوقا اجتماعية لم تكن لها
قبل الاسلام فنهض التعليم بين النساء . ووضح الكتاب والمؤرخون
أسماء المسلمات المتعلقات اللاتى كن يعرفن القراءة والكتابة فى صدر
الاسلام . فاثبت البلاذرى أن السيدة حفصة زوج النبى كانت تقرأ
وتكتب وعائشة بنت سعد كانت تعرف القراءة والكتابة ، والسيدة
عائشة بنت أبى بكر كانت تقرأ المصحف وتعلم الكثير . قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أى البيضاء
وقد قال فى شأنها عروة بن الزبير : « ما رأيت أحدا أعلم بفقهه ولا بطب
ولا بشعر من عائشة » وقد روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ألف
حديث .

ومن النساء المسلمات النابغات : الحنساء وهى شاعرة عرفت بجودة
الشعر والوطنية الصادقة والوفاء والتضحية والسيدة سكيئة بنت
الحسين رضى الله عنه ، وهى شاعرة أدبية عالمة بضروب الايقاع ، وسيدة
الناقدين وكان الشعراء يقدون على دارها من كل حذب وصوب للمباراة
بالأشعار فى حضرته . وقد خطت عائشة بنت طلحة خطوات السيدة
سكيئة فاشتهرت بنقد الشعر والغناء واجتمع لديها الأدباء والشعراء
والرواة للمنافسة فى الأدب والشعر والرواية .

وان الكتب العربية مملوءة بأسماء المسلمات النابغات فى العلوم
الدينية والأدبية والطبية ، وأسماء الجوارى الشهيرات فى الآداب
والفنون .

وقد اشتهرت المرأة المسلمة بالصدق فى عملها والأمانة والدقة فى

روايتها واخذ أفاضل العلماء برواياتها . وقد قال الحافظ الذهبي - وهو محدث عظيم - (وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها) ومن النساء الشهيرات في عالم الحديث : كريمة المروزية وسيدة الوزراء وكانت من أهم راويات الأحاديث التي جمعها البخاري . وقد ذكر الحافظ بن عساكر - وهو أحد رواة الحديث - أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعا وثمانين أستاذة .

وقد سرقت مرة امرأة من قريش من ذوات الحسب والنسب فعوقبت عقاب من يسرق في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فحاول أحد المسلمين أن يشفع لها فقال له النبي : صلى الله عليه وسلم : « أتشفع في حد من حدود الله ؟ » ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما أضل من قبلكم انهم اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . « ففي الاسلام مساواة بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب ولا يتميز عليها الا في انه مطالب بالانفاق عليها ورعايتها والدفاع عنها . قال تعالى في موقف المرأة « ولهن مثل الذين عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » « وحينما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم ينشر قواعد الاسلام ومبادئه نشرها بين الرجال والنساء من غير تفرقة .

وان من يدرس هذا الموضوع وهو : تعليم المرأة في الاسلام يجد رأيين متناقضين فيه :

الأول : رأى من يقول بتعليم المرأة القرآن الكريم والدين الاسلامي ليس غير وينهى عن تعليمها الكتابة والشعر . وقد بالغ أنصار هذا الرأي وادعوا ان المرأة ناقصة العقل والدين وان نقصها لا يشجع على تعليمها العلوم . وفي هذا المعنى يقول شاعرهم :

النساء ناقصات عقل ودين

ما راينا لهن رأيا سنيا

ولأجل الكمال لم يجعل الله

تعالى من النساء نبيا

ومنهم القابسي الفقيه القيرواني (١) فهو لا يرى بأسا من تعليم المرأة القرآن والدين لا « الترسل والشعر ... وانما تتعلم ما يرجى له سلامة

(١) صاحب كتاب «الفضيلة لاحوال المتعلمين» .

ويؤمن عليها من فتنته وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها ، وهو رأى يسىء
الظن بالمرأة ولا تقول به أكثرية المسلمين .

الثانى : رأى من ينادى بتعليم المرأة من المسلمين وهو رأى شديد
يستمد قوة عظيمة من اسناده الى أحاديث نبوية تشجع على تعليم المرأة
منها الحديث الذى ذكرناه فى بدء الموضوع وهو : « طلب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « وأيما رجل كانت
عنده وليدة (١) فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها
وتزوجها فله أجران »

وقد حض النبى على تعليم أزواجه الكتابة فقال للشفاء العدوية
- وقد كانت تجيد القراءة والكتابة فى الجاهلية قبل الاسلام - « ألا تعلمين
حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة ؟ »

وقد انتصر الرأى القائل بتعليم المرأة المسلمة القراءة والكتابة حتى
وصلت المرأة الى أسمى درجات العلم والثقافة ونالت أكبر قسط من
التربية والتعليم فى العصور الذهبية للاسلام ، فكان من النساء المسلمات
الكاتبة والشاعرة والطبيبة والمعلمة والقاضية ولم يستطع المترددون
الوقوف فى سبيل تعليمها الا فى البلاد الضعيفة بسبب الاحتلال
الأجنبى ففى تلك البلاد حرمت المرأة العلم والنور وحجبت عن الأعين
وتركت فى دارها جاهلة لا تقرأ ولا تكتب .

وفى كتب الأدب العربى والتاريخ الاسلامى عدد كبير من النساء
المسلمات الشهيرات نذكر منهن :

١ - علية بنت المهدي : وهى شاعرة معروفة بالنبوغ الشعرى
والمعانى الرقيقة والعبارة الجزلة .

٢ - عائشة بنت أحمد بن قادم : وقد نشأت بقرطبة ولم يكن فى
زمانها فى الاندلس من يماثلها فى فهمها وعلمها وأدبها وشعرها وفصاحتها
وعفتها . وكانت تجيد الخط وتكتب المصاحف وتجمع الكتب الثمينة
فى خزانها ودارها وقد توفيت سنة ٤٠٠ هـ .

٣ - ولادة بنت الحليفة المستكفى بالله : وهى أديبة شاعرة ناظرت
الأدباء والشعراء وكان قصرها منتدى متسعا يأوى اليه رجال الادب
والشعر والوزراء والعلماء والقضاة .

٤ - لبنى : وهى الكاتبة فى ديوان الخليفة الحكم بن عبد الرحمن المجيدة للكتابة والشاعرة العالمة بالنحو ، المتينة فى الحساب والعلم . وقد توفيت سنة ٣٩٢ هـ .

٥ - فضل : وهى جارية تعلمت فنون الأدب والشعر والغناء وقد اشترت وأهدت الى الخليفة المتوكل وعرفت بالذكاء وحضور البديهة والنبوغ فى الشعر الغنائى الذى يحتاج الى رقة الطبع والعاطفة وقوة التأثير . وقد ظهرت فى عصر تميز بفحول الشعراء كالبحتري وابن الرومى وعلى بن الجهم فلم تقصر عن هؤلاء جميعا .

٦ - وقد أشار ابن أبى أصيبعة فى كتابه « طبقات الأطباء » الى طبيبتين مسلمتين درستنا الطب واشتغلنا به . منهما الطبيبة زينب طبيبة بنى أود التى عرفت بعلاج أمراض العيون . وكانت النساء المسلمات فى الحروب الإسلامية يقمن بمداواة الجرحى وخدمتهم ومعاونتهم كما تعمل سيدات الهلال الأحمر والصليب الأحمر فى الحروب اليوم .

روى أن أمية بنت قيس الغفارية قالت : أتيت رسول الله فى نسوة من بنى غفار وهو سائر الى غزوة خيبر فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركة الله .

وتقول الربيع بنت معوذ : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ونداوى الجرحى ونرد القتلى والجرحى الى المدينة .

ومن الطبيبات المسلمات أيضا الطبيبة أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطنجالى وقد كانت طبيبة مبرزة شهيرة فى الطب كثيرة الاطلاع وأجادت علوما كثيرة مع الطب .

وأخت الحفيد بن زهر وابنتها كانتا عالمتين بالطب والمداواة ولهما خبرة كبيرة بعلاج أمراض النساء (١) .

٧ - وفى العصر العباسى فى عهد الخليفة المقتدر أشارت كتب التاريخ الى امرأة مسلمة تولت القضاء واطمأن الناس الى عدالتها فى الحكم واعترفوا بفضلها ومقدرتها القضائية .

ومع أن الميدان السياسى صعب وليس بسهل نجد بين المسلمات

(١) «طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة» ج ٢ صفحة ٧٠ .

نساء اشتغلن بالسياسة وناصرن طائفة على أخرى معتمدات على فصاحتهم وعاطفتهم المؤثرة وبديهتهن الحاضرة ومقدرتهن الخطابية الملهبة كما حدث وقت القتال بين علي ومعاوية فقد ناصرت نساء كثيرات عليا مثل هند بنت يزيد الانصارية والزرقاء بنت عدى بن قيس وأم الخير البارقية وعكرشة بنت الاطروش وقد أعجب معاوية بن أبي سفيان بالنساء اللاتي خاصمنه وخطبن ضده . فبعث وطلب بعض الخطيبات منهن لمناقشتهم ومساجلتهم ومعرفة ما عسى أن يقلنه بعد أن قتل علي وتولى معاوية الخلافة (١) وفي العصور التي تلت عصر معاوية لعبت الحيزران وشجرة الدر دورا كبيرا في سياسة الدولة الاسلامية .

ومما سبق يتبين ان المرأة المسلمة لم تكتف بالدراسة وتحصيل العلم ولكنها انتفعت بعلمها وذكاؤها وذوقها الادبي ونشاطها العقلي في النواحي التي اشتغلت بها كالادب والسياسة والاجتماع والطب والقضاء والتدريس ولكن عدد المشتغلات بمهنة التعليم من المسلمات كان اكثر ممن اشتغلن بالمهن الأخرى كما هو حادث الآن . وكان العلماء من الرجال يقومون بالتدريس للنساء وكانت النساء يقمن بالتدريس للرجال .

وقد اعترف بعض العلماء والأدباء بفضل النساء المسلمات فقد ذكر ابن خلكان أن أم المؤيد زينب بنت الشعري كانت عالمة ، أخذت العلم عن كبار العلماء وروته عنهم ومنحوها اجازة علمية أدبية وقال : انها منحته اجازة كتبته له في سنة ٦١٠ هـ .

وقد قيل : ان طرفة بنت عبد العزيز بن موسى قد تلقت العلم عن العلماء المشهورين في عصرها بالاندلس وأخذت عنهم كثيرا من كتبهم . وكان من النساء مدرسات منقطعات لتدريس العلوم الدينية للنساء وللعبادة . هذا وصف موجز لما نالته المرأة المسلمة من التعليم العالي وهذا حظها منه في وقت حاول فيه دعاة التردد فرض قيود عليها في التعلم . ولم يقل نصيبها من التعليم الاولي عن نصيبها من التعليم العالي . ولكننا لا نستطيع ان ننكر أو نتناسى ان تعليم البنات كان أسهل من تعليم البنات ، وان تعليم البنات كان فيه شيء من الصعوبة وان عدد المتعلمين من المسلمين أكثر من عدد المتعلمات من المسلمات . والسبب في القلة هو ما كان يوضع من العقوبات في سبيل تعليم النساء تعليمًا مدنيًا وفي سبيل تعليمهن الحظ . . والكتابة . وقد رأى بعض

(١) «صبح الاعشي للقلقشندي» ج ١ ص ٢٢٨ .

المتشدددين الا يعلم البنون والبنات فى مكتب واحد أو مدرسة واحدة خوفا من اثر الاختلاط ومع هذا كان الذكور يتعلمون أخيرا مع الاناث فى كتاب واحد وخاصة فى البلاد الريفية والنائية حتى وقتنا هذا وكانت البنات يتعلمن فى بيوتهن فى البدء على أيدي بعض المؤدبين أو الأقارب .

والحق ان الاسلام قد اعترف بحق البنات فى التعلم الى أقصى حدود العلم - ان كان للعلم نهاية - فتعلمت التعليم الابتدائى واستمرت فى التعلم وطلب العلم حتى وصلت الى التعليم العالى فدرست المرأة المسلمة الأدب والدين والطب واشتغلت بالقضاء واشتركت فى الشئون السياسية ، وكان من النساء . الأديبات والكاتبات والشاعرات والخطيبات والفقيهات والطبيبات والقاضيات والسياسيات . وبلغت كثرات منهن منزلة علمية رفيعة فكان منهن الاستاذات والمدرسات للامام الشافعى وابن خلكان وأبى حيان وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين ويكفيهن هذا فخرا بين النساء فى جميع الأديان . وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به التربية الاسلامية من الحرية فى التعلم والديمقراطية فى التعليم واليقظة الروحية فى الاسلام .

موازنة المرأة المسلمة والمرأة المسيحية فى القرون الوسطى :

إذا قلبنا صفحات التاريخ فى القرون الوسطى وجدنا أن المرأة الأوروبية المسيحية كانت غارقة فى بحار الجهل وأن الاغريق القدماء - ما عدا الاسبرطيين وأفلاطون - مع ما كان لهم من حضارة ومدنية - عدوا المرأة جزءا من المتاع الذى يلهو به الرجل ويتمتع به وبخلوا عليها بحقوقها فى التعلم وفى المساواة بالرجل من الناحية الاجتماعية ، وألفينا أن الألمان كانوا يقولون : ان خزانة الملابس هى مكتبة المرأة . وأن الفرنسيين كانوا يعتقدون أن المرأة يجب أن تكون بين أربعة جدران ورأينا ان المرأة المسلمة قد بلغت فى العصور الوسطى منزلة سامية من الناحية العلمية والنهضة العقلية والسمو الروحى واشتركت فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الاسلامى فى عصوره الذهبية ووصلت الى درجة كبيرة من الثقافة والعلم كانت تحسد عليها من هذا كله يتضح أنه لا صحة للرأى المنتشر بين المتعصبين من الغربيين بأن جهل المرأة المسلمة راجع الى أسباب دينية وتقاليد اسلامية فالاسلام دين علم ونور لا دين جهل وظلمة وقد أوجب طلب العلم على كل مسلم ومسلمة . ولكن روح التعصب هو الذى نشر هذه الفكرة الخاطئة عن الاسلام . وان من يقلب الصفحات الماضية للمرأة المسلمة سيجد فيها

صوراً للعظمة الروحية والعناية بالقيم المعنوية التي يرمز إليها تعليم المرأة في عصر النهضة الإسلامية . وللنساء المسلمات ماضٍ مجيد تستطيع المرأة اليوم أن تفخر به وتبنى فوقه لنفسها مجداً علمياً وروحياً آخر .

والحق أننا لسنا في حاجة إلى ذكر الفوائد التي تعود على الأمة الإسلامية من تعليم البنات فقد مضى الوقت الذي كان يعد فيه تعليم المرأة المسلمة عاراً واننا ننتظر من كل أب مسلم أن يقوم بتعليم أبنائه وبناته من غير تفرقه لأننا إذا قمنا بتعليم الابن فالتعليم لا يتعدى فرداً واحداً ولكننا إذا علمنا البنت فكاننا قمنا بتعليم أسرة مسلمة وثقافتها لأن بنت اليوم أم في المستقبل تقوم بتربية أبنائها وبناتها . ولو القينا نظرة واحدة إلى التاريخ لوجدنا للأمهات فضلاً عظيماً في تكوين العظماء من الأبناء .

واعتقد أنه قد مضى الوقت الذي كانت فيه المرأة المسلمة منكودة الحظ مهضومة الحق مهملة في التعليم . ولا ينكر أحد من المسلمين اليوم فضل تعليم البنت . واني أقصد بالتعليم التعليم الذي يؤدي إلى الفضيلة والرقى والكمال في كل ناحية من نواحي الحياة . وليس هناك مضرة ولا منقصة ولا عار في تعليم الفتاة المسلمة التعليم الذي يمكنها من كسب عيشها والاعتماد على نفسها إذا ابتليت بيوم أسود أو أصيبت بفقر أو فقد زوج أو أب .

أمن العيب أن تجعل المرأة حية بالعلم قادرة على العمل ؟ هل العار في العمل والقدرة على كسب العيش من طريق شريف أو في الاستجداء من الناس والالتجاء إلى وسائل غير شريفة ؟ ماذا تستطيع المرأة المسلمة أن تفعل إذا تركت وحولها خمسة أطفال لا دخل لهم ولا معين ؟ فيأبها المسلمون علموا بناتكم ولا تعطلوا نصف الأمة الإسلامية فمحال أن ترقى مادام نصفها الذي يقوم بالتربية المنزلية متعطلاً جاهلاً لا يعرف عن الحياة شيئاً . ساعدوها بالتربية الكاملة ورقوها بالعلم والتعليم واحترموا ما هي إلا مخلوق مثلكم . ولا تتركوها جاهلة مهملة . وفكروا في تربية بناتكم كما تفكرون في تربية أبنائكم .

إن المرأة ضعيفة القوة فقووها بالعلم وحسن الخلق ولا تقبروها بالجهل وهي حية . افتحوا سبل التعليم أمامها فإن المرأة إذا تعلمت استطاعت أن تقوم بما يقوم به الرجل ، استطاعت أن تكون معلمة واستاذة وطبيبة للنساء والأطفال والعيون والأمراض الباطنية والأسنان والأنف والأذن والحنجرة وممرضة للمرضى ومربية وكاتبة ومؤلفة وباحثة وعالمة

ومهندسة معمارية ومدافعة عن حقوق المرأة . واستيقظوا من سباتكم
ان كنتم نائمين . ورحم الله حافظ ابراهيم اذ قال :

الأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الاعراق

ورحم الله شوقي حيث قال :

واذا النساء نشان في أمية
رضع الرجال جهالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاء ذليلا
ان اليتيم هو الذي تلقى له
أما تخلت أو أبا مشغولا

وليس الذكاء مقصورا على الأبناء أو خاصا بالبنات بل هو شركة
بين النوعين ومن النقص أن نوجه العناية الى نوع ويهمل الآخر . ومن
الحكمة أن ننتفع بذكاء البنات في دائرة حياتهن كما ننتفع بذكاء البنين
حتى نجد شعبا مسيلما كاملا جمع بين الجنسين ينهض ببلايه الاسلامية
ويعيد اليها تراثها الخالد في عصورها الذهبية .

وقد أباحت الشريعة الاسلامية للمرأة أن تتجر ومنحتها الحق في
التجارة والحق في التملك والبيع والشراء والتصرف فيما تملك من غير
رجوع الى زوجها . وجعل لها الحق في أن ترث وهي زوجة . وقرث وهي
أم أو أخت . فالاسلام أعطى المرأة حقها في التعليم . وحقها في التملك
وحقها في الميراث . وهو دين العلم والديموقراطية والعدالة الاجتماعية .